3 – نفح الطيب جـ ص 283 تحقيق محي الدين عبدالحميد دار الكتاب العربي.
4 – نفسه وانظر الامام أبو زهرة ابن حزم 39-40.
5 – عبداللطيف شرارة، ابن حزم ص49، بيروت د.ت.
6 – الامام أبو زهرة ابن حزم ص421.
7 – الأنعام، الآية38.
8 – النساء، الآية59.
9 – راجع الامام أبو زهرة. ابن حزم422 وما بعدها.
10 – نفسه.
11 – الأنبياء، الآية 23.
12 – عبداللطيف شرارة، ابن حزم والنص في الأحكام في أصول الأحكام جـ4، ص141.
13 – ابن خلدون : المقدمة ، المجلد الأول ص:799-800.
14 – راجع سعيد الأفغاني نظرت في اللغة عند ابن حزم ص30-31 دار الفكر بيروت1969 وقد ذكر صاعد الأندلس أن ابن حزم قد ألف كتابا ضخما في العربية ولعله يكون قد حمل فيه على أصول النحو العربي أو تبنى فيه منهجا جديدا يتلاءم مع المذهب الظاهري، أنظر كتاب طبقات الأمم

Par : REGIS Blanche Page 141

15. – عبداللطيف شرارة ابن حزم ص124 والنص عن الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم.
16 – أحمد أمين ظهر الاسلام جـ3 ومقدمة كتاب الرده على النحاة ص8، هذا عن المعجب لعبد الواحد المراكشي.
17 – النبوغ المغربي في الأدب العربي عبدالله كنون125/1 دار الفكر، بيروت1974.
18 – عبدالله علي علام الدعوة الموحدية بالمغرب ص318-319، دار المعرفة القاهرة ط1، ص196.
19 – عبدالله كنون، النبوغ المغربي ص124.
20 – نفسه 124-125.
21 – انظر الديباج المذهب لابن فرحون ص47.
22 – نفسه " " " ص2.
23 – الامام أبو زهرة، ابن حزم حياله وعصره ص436.
24 – سعيد الأفغاني نطرت في اللغة عند ابن حزم.
25 – الرد على النحاه لابن مضاء القرطبي تحقيق صوفي صيف دار الفكر1947، ص151.
26 – الرد على النحاه ص152.
27 – يشترط في عمل فاء السببية أن تكون مسبوقة بنفي أو طلب، أو نهي...الخ.
28 – عبداللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي ص73.
29 – المحلي لابن حزم الأندلسي56/1 –بيروت د.ت.
30 – عبداللطيف شرارة ابن حزم،73.

## علاقة الأحكام الشرعية

# بالإعراب

أ/أحمد الأطرش السنوسي
معهد الحضارة الإسلامية وهران -الجزائر-

الإعراب للكلمة بمثابة الروح للجسد، لأن الكلمة شكل، والإعراب مضمون، فما هو الاعراب؟.

عرفه النحاة بأنه : تغيير آخر الكلمة من جهة الشكل الذي هو الرفع والنصب، والجر، والجزم، ولكل منها علامة، وهذا تعريف لفظي، لحال الكلمة، باللازم عن الملزوم، أي أن المعنى هو الذي اقتضى تغيير آخر الكلمة.

وعرفه أهل اللغة بأنه : الإفصاح عن الشيء، وإظهاره بعد أن كان خفيا.

قال ابن دريد : وإعراب الكلام : إيضياح فصيحه ورجل معرب إذا كان فصيحا (1).

وقال ابن منظور : وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الثيب تعرب عن نفسها. أي تفصح. وفي حديث آخر : الثيب يعرب عنها لسانها، والبكر تستأمر في نفسها (2).

وللجمع بين تعريفي النحاة وأهل اللغة أقول : للإعراب ثلاثة أوجه :

أحدها : بيان المعنى المراد، مأخوذ من قولهم : أعرب الرجل عن حجته، إذ بينها.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : الثيب تعرب عن نفسها.

**ثانيها** : أنه تغيير لأ واخر الكلم، من قولهم : عَرِبت (بكسر الراء) معدة الفصيل، إذا تغيرت.

**ثالثها** : أن يكون معناه التحبب إلى السامع باعرابه، من قولهم : امرأة عروب. اذا كانت متحببة إلى زوجها. قال تعالى : عُرُبًا أترابا -(3). أي متحببات الى زواجهن.

وبهذا لا نرى فرقا بين معناه اللغوي ومعناه الاصطلاحي، باعتباره ان تغيير أواخر الكلم. لاختلاف العوامل الداخلة عليها، انما هو للإعراب عن المعنى المقصود.

ونأخذ هذا المثال دليلا على ذلك : ما أكرم أخاك. (تعجب). ما أكرم أخوك. (نفي) ما أكرم أخيك؟. (استفهام).

وليس الإعراب وحده يحدد معنى الكلمة، فقد يختلف المعنى باختلاف شكلها الذاتي، يقال : امرأة حامل. وامرأة حاملة. فالأولى بحذف هاء التأنيث، ومعناها : حبلى. والثانية بلحاق هاء، التأنيث، ومعناها : رافعة شيئا تحمله. كما يقال : حائض، وطاهر، وطالق. أي طاهر من جيضها، وطالق من زوجها. والقرينة حالية، أو لفظية، إلا ما يخص المرأة الحائض؛ فلا يتوقف على القرينة.

ومن هنا نعلم أن علم النحو لم يكن مجرد اختراع وتفنن، وإنما كان لأسباب موضوعية دفعت واضع علم النحو لأن يفعل، ويحكي أن أبا الأسود الدؤلي قالت له ابنته يومًا يا أبت ما أشدُ الحَرّ (بضم أشد، وكسر الحر) فقال : ما نحن فيه. فقالت : إنما أردت أنه شديد. (أي تعجبا). فقال : قولي: ما أشد َالحرَ (بنصبها). فعمل باب التعجب (4). وكان أبو الأسود شاعرًا وفقيها وأميرًا (5).

وعن عاصم ابن بهدلة قال : أول من وضع علم النحو أبو الأسود بإذن من زياد بن أبيه، وإن زيادًا : لم يأذن له إلاَّ بعد أن جاءه رجل فقال : أصلح الله الأمير، مات أبانا وترك بنون فقال زياد : ادع لي أبا الأسود، فأذن له حينئذ. وروي ابن أبي سعيد : أن سبب ذلك أن مرّ به فارسي فلحن. فوضع أبو الأسود باب الفاعل والمفعول، فلما جاء عيسى بن عمر تتبع الأبواب ودوَّن النحو (6).

قلت : والخطأ ليس في : أبانا :. لأنها لغة القصر يكون الاعراب بالألف في جميع الأحوال قال أبو النجم العجلي :إن أباها وأبا أباها *قد بلغا في المجد غايتاها -(7). وإنما الخطأ في : بنون : - وهو ملحق بجمع المذكر السالم. وعجبي من الجاحظ : أصدر حكمه على الامام أبي حنيفة باللحن، لما أجاب السائل بقوله : لا، ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (8).

وذكر الالوسي وصاحب المنار : أن أبا الأسود كان خلف جنازة، فقال له رجل : من المتوفي؟ (بكسر الفاء). فقال الله تعالى. وكان هذا من أسباب وضع النحو(9).

ولا يهمنا ذكر الأسباب، فقد تكون أسبابا متعددة، وانما المهم أن نعلم أن أبا الأسود هو واضع اللبنة الأولى للغة الضاد، سواء كان ذلك بإشارة علي، أو بإشارة زياد.

أجل، إن للغة العربية في تاريخها الطويل مجالين : الشعر، والقرآن.

أما الشعر، فهو ديوان العرب، كانوا يقرضون الشعر بسليقتهم، لهم خيالهم الواسع في دقة الوصف لا يجدون في ذلك أي عناءً.

وكان للقبيلة الواحدة عدة شعراء، تقدم واحداً منهم تسميه شاعر القبيلة، وهي تهتم بإعداد الشاعر لها، كما تهتم بإعداد القائد والخطيب، فيقال : أن قائد القبيلة الفلانية فلان، وان فارسها فلان، وشاعرها فلان(10). واشتهر من بينهم أصحاب المعلقات العشر، أو السبع، وذهب ابن عبد ربه، وابن رشيق، وابن خلدون إلى أن سبب تسميتها بـ "المعلقات" أنها كانت تعلق بأركان الكعبة(11). وكانت لهم "سوق عكاظ". من بين الأسواق التي كانت تعقد فيها المجالس الأدبية، والمساجلات الشعرية، وقد تؤلف هيئة التحكيم، لتصدر حكمها فيمن هو اشعر. الا أن بعض الشعراء منهم كان لا يتحاشى ذكر الفاحش من القول، والقبيح من الوصف، فهذا امرؤ القيس –وهو علم في الشعر– يقول :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع　　فالهيتها عن ذي تمائم مُحْوِلِ.

أمن الذوق السليم مقاربة الموضع إلى حد أن يلهيها به عن رضيعها؟. وانما هي الحرية المتمكنة في نفوسهم، واستقلالهم في شؤونهم الشخصية أمليا عليهم ان لا يقولوا : إلا ما به يشعرون، وقد يقولون ما لا يفعلون. وقد قال حكيمهم زهير بن أبي سلمى :

وإن أشعر بيت أنت قائله. –بيت يقال– إذا أنشدته– : صدقا(12).

ومهما يكن، فان فصيح الكلام –وبالاخص في الشعر– يحتج به كمرجع في قواعد اللغة، ومعنى الكلمة، وتأكدت أصالة اللغة العربية بنزول القرآن بها.

## نزول القـــرآن :

نزل في قلب جزيرة العرب، وسكانها أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وكانت أول آية منها تأمر بالقراءة والكتابة، وقال فيه منزّله : إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (13). وجملة : لعلكم تعقلون : لم تكن ناقلة من القول، ولا حشوا من الكلام، ولا تنميقا لعبارة،

بل أنه لتحرير العقل الانساني مما كان يرسف فيه من الضلال والأفن، وكيف لا، وهو كلام السماء الذي بذَّ الشعر والشعراء، وفاق الخطب وأخرس الخطباء، وذاك الوليد ابن المغيرة رأس قريش لم يتمالك -لما سمع شيئا منه- ان قال : فوالله ماهو بشعر، ولا بهذي من الجنون، وان قوله لمن كلام الله (14).

وهذا الطفيل بن عمرو السدوسي، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام، فحسب نفسه أنه اعلى مكانة ممن يدعون إلى الاسلام، فقال : إني رجل شاعر، فاسمع ما أقول. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هات. فانشد أبياتا يفخر فيها :

لا، وإله الناس نأثم حربهـــــم ولو حاربتنا مُنهِب وبنوفهـــــم
ولما يكن يوم تزول نجو منـــــه تطير به الركبان ذنوبا ضخـــم
أسلْمًا على خسْف؟ ولست بخالد ومالي من واق، اذا جاءني حتمي
فلا سلم حتى تحفز الناس خفية وتصبح طير كانسات على لحـــم

فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : وأنا أقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. وقرأ عليه سورة الاخلاص وغيرها، فاسلم الرجل (15).

وهذا لبيد ابن ربيعة العامري، كان من المكثرين لنظم الشعر، ولما جاء الاسلام، وسمع القرآن أسلم، وقلل من الشعر، وكان يقول : يكفيني القرآن (16).

وللإعجاز القرآني ثلاث جهات :

**الجهة الأولى** : بلوغه الغاية القصوى مما لا يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة، ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب، مما لا يفيده أصل وضع اللغة.

**الجهة الثانية** : ما أبدعه القرآن الكريم من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن في أساليب العرب معهودا، ولكنه خارج عما تسمح به اللغة.

**الجهة الثالثة** : ما أودع فيه من المعاني الحكمية، والإشارات إلى الحقائق العلمية والعقلية، مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن، وفي عصور بعده متفاوتة

(17).

ولولا سمو بلاغته، وعمق معانيه، لما شغلوا به أنفسهم بين مكذب، ومتردد، ومؤمن. ثم كان جمع القرآن ظاهرة ثانية جعلت أهل اللغة والأدب يراجعون أنفسهم أمام اعجازه المعجب ليهذبوا أساليبهم في الشعر والخطب شكلا ومضمونا، فتوسعت دائرتهم المعرفية بما فاجأهم به مما لم يكن لهم به عهد من قبل وتأثروا به أيما تأثر، لا من الجانب الشكلي فحسب، بل الجانب النفسي والسلوكي كذلك، وبالتالي أَقَرّوا بأنه القرآن.

وبالجملة، فإن معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن، أو الإسلام، حتى عدها بعضهم من قبيل الدين. قال أبو عمرو بن العلاء : علم العربية هو الدين بعينه (18).

وعند جمعه سنة (12هـ) دعا عثمان بن عفان، زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وقال لهم : إذا اختلفتم في شيء انتم وزيد بن ثابت، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم (19). وقال ابن عباس : اذا قرأتم شيئا في كتاب الله، فلم تعرفوه، فاطلبوه في اشعار العرب (20). وقال الامام الشافعي : فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلساها على ما تعارف من معانيها، واتساع لسانها (21). وقال الامام مالك : لو كنت من العلوم في غاية، ومن المفهوم في نهاية، وما خرجت عن اصلين : كتاب الله وسنة رسول الله، ولا سبيل لي اليهما إلا باللسان العربي (22).

وبما أن النحو هو روح اللغة العربية، والقرآن مرآتها، فإن الداعي لجمع القرآن، هو الداعي نفسه لوضع علم النحو، فإن لاتساع الفتوح الاسلامية، وامتزاج الاعاجم بالعرب أثرًا سلبيا على ضوابط الإعراب، وظل العربي الأصيل أحرص الناس على سلامتها من اللحن والخطأ. حتى قال أبو بكر الصديق : لأن أقرأ فاسقط، أحب إلي من أن اقرأ فالحن (23). وقال عمر الفاروق : تعلموا النحو، كما تتعلمون الفرائض (24).

اما إذا جئنا لطالب العلم، فعلم النحو وما إليه من صرف، وبلاغة، وشعر، آكد في حقه، ولا سبيل له إلى فقه الأحكام من القرآن والسنة حتى يفقه علوم اللغة.

عن الأصمعي قال : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. لأنه لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه، كذبت عليه. وعن حماد بن سلمة أنه قال :

لإنسان : إن لحنت في حديثي فقد كذبت علي، فإني لا الحن، وقد كان حماد إماما في ذلك. وقد روينا أن سيبويه شكاه إلى الخليل بن أحمد، قال (أي سيبويه) : سألته عن حديث هشام بن عروة، وعن أبيه في رجل رعف (بكسر العين)، فانتهرني، وقال : أخطأت، إنما هو رعف بفتح العين. فقال له الخليل : صدق وقال الشعبي : النحو في العلم كالملح في الطعام، لا يستغني شيء عنه. وعن حماد بن سلمة : مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل حمار عليه مخلاة لا شعير فيها (25).

وسُجّل من لحن البلغاء في أمهات كتب الأدب الشيئ الكثير، كلحن الحجاج بن يوسف، والوليد ابن عبدالملك، والفتح بن خاقان وغيرهم (26). ولولا عيب اللحن في أهل العلم لما سجلت عليهم أخطاؤهم.

واهيب بطالب العلم – سيما علم الشريعة – أن يعد نفسه برصيد من علوم اللغة : نحوها وصرفها وبلاغتها، ليكسب الأهلية في التعامل مع النصوص، فَرُبَّ تغيير لحركة يؤدي إلى نقيض المعنى الوارد من أجله النص، بل يختلف المعنى باختلاف العطف، أو الاستئناف للجملة، كما هو الشأن في قوله تعالى –في المتشابه – : وما يعلم تأويله إلاَّ الله، والراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا (27).

فعلى الاستئناف أبي بن كعب، وعائشة، وعروة بن الزبير، وغيرهم، واليه ذهب الأكثرون (28). ويجيئ المعنى : ان الراسخين في العلم لا يعلمون المتشابه، وانما يؤمنون به، ويسلمون علمه لله، ويتعين حينئذ ان يكون خبر «الراسخون» جملة يقولون «آمنا به».

وعلى العطف ابن العباس وجمع من الصحابة ويجيئ الوقف على «والراسخون في العلم» وما وصفوا بالرسوخ إلا لأنهم يعلمون المتشابه. ويتعين أن تكون جملة «يقولون آمنا به» في موضع الحال، على تأويل «يعلمونه»، لأن الحال يجوز أن تكون من صاحبها المقدر. وذهب كثير من علماء الأصول – كالغزالي – إلى جواز علم المتشابه، لأن الخطاب بما لا يفهم ممنوع، ورَوَى ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن العباس أنه قال : انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله (29).

فليتدبر طالب العلم كيف اختلف المعنى باختلاف الاعراب، وليعلم أن من بين أسباب الاختلاف بين الفقهاء، الاختلاف في أوجه الاعراب، أو بنية الكلمة من جهة الشكل، أو من جهة المعنى.

أما من حيث موقع الكلمة من الاعراب، فكهذا المثال الذي سبق، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم – لعبد ابن زمعة – : هو لك عبد بن زمعة (ببناء عبد على الفتحة، لأنه علم منادى، بحذف حرف النداء، موصوف بـ «ابن»، وما كان موصوفا بـ «ابن» في النداء يبنى على الفتح بدل الضم). أو : هو لك عبد (برفع «عبد» على أنه خبر) ابن زمعة (بنصب «ابن » على أنه هو المنادى). ومن ثم يختلف المعنى والحكم باختلاف أوجه الاعراب.

والقصة كما يلي : عن عائشة رضي الله عنها قالت : اختصم سعد بن أبي وقاص، وعبد بن زمعة (أخو أم المؤمنين سودة) إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال سعد : يا رسول الله، ابن أخي عتبة اين أبي وقاص، عهد الي أنه ابنه، أنظر الى شبهه. وقال عبد بن زمعة : هذا أخي يا رسول الله، ولد على فراش أبي. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شبهه، فرأى شبها بينا بعتبة، فقال : هو لك عبد بن زمعة، الولد للفراش وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة (26). فذهب الحنفية إلى رواية : هو لك عبد ابن زمعة على تقدير : (هو لك يا عبد ابن زمعة)، وهذه الرواية مقصودة بما جاء في الصحيحين والموطأ بدخول «ياء النداء» على «عبد» هكذا هو لك يا عبد بن زمعة. بل في البخاري وسنن أبي داود : هو أخوك يا عبد (30).

ويكثر الاختلاف في معاني الحروف، كحروف العطف، وحروف الجر التي تحتمل أكثر من معنى، مثل : واو العطف، في قوله تعالى : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب والغارمين، وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله» (31). وهي في أصل معناها تدل علي الاشتراك في الحكم. فذهب الامام الشافعي الى وجوب استيعاب الاصناف الثمانية اذا وجدت، ولا يجوز اعطاؤها لبعض الأصناف دون الأخرى. قال : «فإذا اجتمعوا كانوا شَرَعًا في الحاجة، وكل واحد منهم يطلب ما جعل الله له، وهم ثمانية، فلا يكون لي منع واحد منهم ما جعل الله له (32). وذهب الإمامان أبو حنيفة ومالك الى أن للامام أن يصرفها في صنف أو أكثر، لأن ذكر الثمانية إنما جاء لتمييز الجنس الذي يستحق الصدقة، واذا كان المقصود بها سد الخلة، فاحوجهم إليها أولى (33).

ومثل : باء الجر، في قوله تعالي : «وامسحوا برؤوسكم. المترددة بين التبعيض والزيادة، وعلى التبعيض أبو حنيفة والشافعي، وبعض المالكية (34). وعلى التعميم بالمسح

الجمهور، وقد تكون حجة الجمهور على أنها زائدة، لأن مسح متعد بنفسه، فلا معنى للباء. على أن ورودها بعد الفعل المتعدي بنفسه كثير الورود في القرآن، كقول القرآن : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ومثل : الى . هل تدخل الغاية في المغيا، أو لا؟ إلاَّ بقرينة واختلف أبو حنيفة وصاحباه : أبو يوسف، ومحمد بن الحسن. فمن أقر لشخص بقوله : له علي من دِرْهَمٍ الى عشرة. فقال أبو حنيفة : لا يلزمه إلاَّ تسعة، لأن العدد عشرة، وانما هو حد لا يدخل في الغاية. وقال الصاحبان : عليه العشرة. بل قال زفر : ليس عليه الا ثمانية، لأن كلا من «مِنْ» و «الى» لا يدخل الغاية (35) وللزركشي تفصيل حسن : إن كان ما بعد «إلي» من جنس ما قبلها دخلت الغاية في المغيا وإن كانت من غير جنسه لم تدخل. مثال الأول فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق. ومقال الثاني : ثم اتموا الصيام إلى الليل. وهذا هو المختار عند النحويين (36).

3 – وقد يقع الاختلاف في بنية الكلمة من جانبها الصرفي. مثل قراءة الجمهور : انما حرم عليكم الميتة (بالتخفيف). والمراد به ما مات فعلا. وقرأ أبو جعفر بالتشديد، والمراد به ما سيموت. (فيحمل على منفوذة المقاتل). والشاهد قوله تعالى : «إنك ميّت وأنهم ميتون (بالتشديد فيهما). وقال القرطبي : هما لغتان، والشاهد قول عدي بن زعلا :

ليس من مات فاستراح بميت  إنما الميْت ميّت الأحيـــــاء

فالا ولان بالتخفيف، والثالثة بالتشديد (37).

ومنه الاختلاف في الفعل (يضار) في بنائه للمعلوم، أو للمجهول، وذلك في موضعين **أحدهما** : ولا يضار كاتب ولا شهيد. فعلى البناء للمعلوم يكون أصله (يُضَارِرُ) بكسر الراء الأولى، ويأتي معناه : لا يكتب الكاتب ما لا يمل عليه، ولا يزيد الشاهد في شهادته، ولا ينقص منها. قاله الحسن، وقتادة، وطاوس، وابن زيد، وغيرهم. أو أن المعنى : لا يمتنع الكاتب أن يكتب، ولا الشاهد أن يشهد. قاله – أيضا – ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعلى البناء للمجهول، يأتي معناه : لا يدعي الكاتب للكاتبة، ولا الشاهد للشهادة، وهما مشغولان، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك والسدي(38).

**ثانيهما** : ونظيرتها : لا تضار والدة بولدها. فعلى البناء للمعلوم يجيئ معناه : ليس للام أن تأبى الإرضاع إضراراً بأبيه، وتطلب أكثر من أجرتها، وعلى البناء للمجهول يجيئ معناه : ليس لأبي الرضيع أن يمنعها من الإرضاع إذا رضيت به، وألفها الرضيع قصد الإضرار بها، وقد نهى الله عنه في قوله تعالى : ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن (39).

ولا بفوتني هنا أن أشير الى ماستنبطه الحافظ ابن حزم، من وجوب انفاق الزوجة على زوجها في حال سعتها وعجزه، كما كان الانفاق واجبا عليه، في حال سعته، وذلك من قوله –في تمام هذه الآية– وعلى الوارث مثل ذلك. وقد جاءت بعد قوله : وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف(40).

4 – وقد يكون الخلاف في معنى الكلمة، فينشأ كذلك الاختلاف في الحكم. ككلمة «المهجِّر» في قوله صلى الله عليه وسلم –في السعي للجمعة– : فمثل المهجر كالذي يهدي بدنه. فعند المالكية والجمهور أن التهجير : هو أول الزوال وعند الشافعية : هو أول النهار. وعمدة المالكية : أن الهاجرة هي وقت شدة الحر، فيحمل على الزوال. وعمدة الشافعية : أن المهجر هو من يهجر منزله، يقال : هجّر منزله (بتشديد الجيم)، كما يقال : ضرّب. وقتّل (بالتشديد) للمبالغة. ومثله كلمة «اغلاق». في قوله صلى الله عليه وسلم : «لا طلاق ولا عتاق في اغلاق. حمل الجمهور كلمة «اغلاق» على الاكراه. وحملها الحنفية على الجنون. ولا مانع من حملها عليهما، من باب حمل المشترك على معنييه عند الأصوليين (41).

وهكذا ينشأ الاختلاف في الحكم بين الفقهاء بسبب الاختلاف في بنية الكلمة، أو في معناها، أو بين الحقيقة والمجاز، ومعاد الاستثناء الواقع بين متعاطفات، هل يكون من جميعها، ومن الأخير منها عند عدم القرينة، ومعاد الضمير، وصاحب الحال، والتأكيد والتأسيس وما الى ذلك من (مباحث الألفاظ). التي في نظرنا هي المحور الأهم الذي يجب أن يكون المدخل الاساس لعلم الأصول، لما له من علاقة وطيدة بقواعد اللغة.

وأن الذين شغلوا أنفسهم ببحث الخلاف لم يولوا اهتماما كبيرا بهذا الجانب، وليعلم أبناؤنا أن مخترع علم الأصول –وهو الامام الشافعي– كان لغويا، وأدبيا وشاعرا، قبل أن يكون فقيها، ولولا اهتماماته اللغوية لما اخترع هذا العلم. والسلام عليكم ورحمة الله.

## الهوامش

1- جمهر اللغة (ع.ر.ب).
2 - لسان العرب (ع.ر.ب).
3 - من الآية 37 الواقعة.
4 - الاصابة جـ 3ص4. 3-5. 3حرف ظه. لأن أبا الأسود هو ظالم بن عمرو مات سنة 69
5 - المزهرج 2ص 199 الجلال السيوطي.
6 - وفيات الأعيان (4) شرح ابن النظم على الفية ابن مالك جـ 1 في اعراب الأسماء الستة.
7 - البيان والتبيين جـ 2ص168. والعقد الفريد ج2ص19 (الطبعة الأولى).
8 - الآية 2 من سورة يوسف.
9 - روح المعاني ج2، ص149. والمنارج 2، ص425 الامام محمد عبده.
10 - الاغاني ج4، ص146.
11 - العقد الفريد ج3، ص93. والعمدة ج1، ص61. والمقدمة ج1، ص509
12 - العقد الفريد ج3، ص93 (الطبعة الأولى).
13- تفسير ابن كثير جـ 7ص157 (سورة المدثر).
14 - الأغاني. المجلد 13ص. 22-221 .
15 - البيان والتبيين جـ 1 (ص3. 1. والبيجوري على الشمائل للترميذي ص 117 (الطبعة الأولى)
16 - التحرير والتنوير المجلد الأول ص4. 1 الشيخ ابن عاشور.
17 - تاريخ آداب اللغة العربية ج 1/2 جورجي زيدان.
18- الفهرست ص24 ابن النذير والبرهان وابن مثير في فضائل القرآن.
19 - العمدة ج 1ص11 ابن رشيق.
20- العمدة ج 1 ص11 ابن رشيق.
21 - اثر سمعته عن بعض شيوخنا، ولم اظفر بمرجعه.
22 - المزهر.جـ 2 ص199
23 - البيان والتبيين جـ2 ص174. والعقد الفريد 18/2.
24 - التبصرة والتذكرة على الفية العراقي ج 2 ص174-175.
25 - البيان والتبيين جـ2 ص174.
26 - الآية 7 سورة آل عمران.
27 - الفتوحات الالهية على الجلالين ج1 ص26 (الطبعة الأولى).
28 - راجع فتح القدير ج1 ص15 عند هذه الاية، وابن كثير ج2 ص11.
29 - المنهاج في ترتيب الحجاج ص8. 1-1.9 الباجي.
30 - نيل الا وطارج 6 ص279.
31 - الآية 61 من سورة التوبة.

32- الا م جـ2 ص78.

33- راجع بداية المجتهد ج1 ص284.

34 - راكع المدونة ج1 ص16. والم ج1 ص26. وحاشية ابن عابدين ج1 ص.67

35 - أصول السرخسي ج1 ص22 وفتح الغفار ج2 ص3-39.

36 - البرهان ج4 ص232.

37 - الجامع لاحكام القرآن ج3 ص88 والآية الأولى4.

38 - الجامع لاحكام القارن ج3 ص5-4 والآية 283 البقرة.

39 - الجامع الاحكام القارن ج3 ص127. وتفسير الرازي ج6 ص121 والآية الأولى 233 البقرة والثانية 6 من سورة الطلاق.

40 - المحلي ج10 ص92.

41 - راجع المنهاج في ترتيب الحجاج ص59-96. وحديث المهجر متفق علية. ورواه مالك في الموطأ. وحديث: لاطلاق ولاعتاق. رواه الامام أحمد وابو داود وابن ماجة.